وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية /ماجستير /ادب

المادة

(دراسات نقدية قديمة)

المحاضرة السادسة بعنوان

النقد الادبي وتطوره

أ.د. مريم محمد جاسم

١٤٤٧هـ ٢٠٢٦مـ

مفهوم النقد الأدبي وتطوره

يعتبر النقد القاعدة الأساسية التي يرتكز عليه النقد الأدبي، وذلك أن أسسه مستوحاة من العمل الأدبي، فهو يستكشف أصالة الأدب أو عدم أصالته ، ويميز جيده من رديئه، وسواء كان النقد علماً أو فناً فإنه ليس قائماً بذاته ، وإنما هو متصل بالأدب ، ويستمد منه وجوده ، ويسير في ظله ، يرصد خطاه و اتجاهاته".

وإذا كان الأدب بطبيعته ينزع إلى الحرية والتجديد واكتشاف آفاق جديدة يحلق فيها ويعبر عنها ، فإن النقد على العكس من ذلك ، إنه محافظ مقيد، يقف عند حدود دراسة الأعمال الأدبية يقصد الكشف عما فيها من مواطن القوة والضعف ، والحسن والقبح، وإصدار الأحكام عليها"؟.

- معاني النقد في اللغة:

تعددت معاني النقد في اللغة ، فمنها تمييز الدراهم وغيرها وتبيين جيدها ورديئها، وذلك ما أنشده سيبويه:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة * نفي الدنانير تنقاد الصياريف**.

ومن معانيها أيضاً " النقاش" يقال ناقد فلان فلاناً في الأمر، إذا ناقشه فيه، ومن هذا المعنى الأصلي للكلمة تحدد معنى النقد في الأدب. ذلك لأن ما يفعله الناقد من محاولة التمييز بين جيد الكلام ورديئه ، ليس إلا من حبس مايفعله الصيرفي في نقد الدراهم والدنانير

- المفهوم الاصطلاحي للنقد :

فقد نجد للنقد تعريفات في المفهوم الاصطلاحي ، كالكشف عن جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي ، وتمييزها مما سواها عن طريق الشرح والتعليل ، ومن يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها ، ومن أوائل النصوص النقدية التي تتضمن كلمة نقد نص لابن سلام الجمحي في كتابة طبقات فحول الشعراء ، حيث قرر أن للشعر " صناعة

وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما تثقفه الأذن ، ومنها ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان ، زمن ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة بالبصر : ومن ذلك الجهندة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا بلمس و لا طراز ولا رسم ولا صفة ، ويعرف الناقد عند المعاينة فيعرف بهجرجها وزائفها.. "

وقد نجد نقد ماثلة عند قدامة في كتابه " نقد الشعراء" ... ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر جيده من رديئة كتاباً ، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعهودة ".

وأننا نجد كتباً أخرى قد تطرقت للنقد الأدبي من روايا وجوانب مختلفة ، فمن هذه الكتب : الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وعيار الشعر لابن طباطبا ، والموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي ، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني والأغاني للأصفهاني، والذخيرة لابن بسام.

يقول الأستاذ طه إبراهيم كنها وحقيقة، وإن لم يعرفوه عنواناً لطائفة من المسائل.

ونستشف من ما سبق ان المفهوم الاصطلاحي لكلمة نقد هو تمييز جيد الشعر من رديئة والذي سيبقى هوالمفهوم الشائع عند النقاد القدامى.

مراحل تطور النقد الأدبي:

أ- مرحلة ما قبل التدوين:

وهذه المرحلة تبدأ من العصر الجاهلي حتى مطلع العصر العباسي بدأت هذه المرحلة بالنقد الساذج البسيط الذي يصدر بطريقة عفوية وشفوية دون تدوين أو ضوابط ويسمى بالنقد الانطباعي التأثري. وعندما ننظر للشعر الجاهلي نجد أنه وصل إلى مستويات عالية من الجودة والإتقان، حيث خضع لأنواع من التهذيب حتى بلغ مبلغ الكمال من الإتقان. وظهر ذلك من خلال المعلقات إذ يراجع الشاعر قصدته ويعيد النظر فيها فتمكث حولاً كاملاً عنده يحسنها ويهذبها ويقومها كما يظهر عند أصحاب الحوليات، وكانت أسواق العرب في الجاهلية. وأشهرها سوق عكاظ ودي المجاز ودي المجنة مركز تلاقي الأدباء فيجتمع فيه الشعراء من قبائل

عدة فينشرون ما لديهم من جديد الشعر فيتلقاه المستمعون بالتعليق والنقد ويذر من هذه الأسواق علماء بالشعر يتحاكم إليهم الشعراء بجودة قصائدهم ".

ومن أبرزهم النابغة الذبياني إذا كانت تضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها . وتذكر إحدى الروايات أن الأعشى أنشده ثم حسان بن ثابت ثم أنشدته الشعراء ثم الخنساء بنت عمرو بن الشريد بن ثابت التي أنشدته قصيدتها في رثاء أخيها صخر والتي منها :

وإن صخراً لتأتم الهداة به * كأنه علّم في رأسه نار.**

فقال: والله لولا أن بصير أنشدني آنفاً لقلت: أنك أشعر الجن والإنس

فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك.

فقال له النابغة: يا أخي أنت لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت أن المنتأى عنك وأسع**

قال فحسن حسان لقوله:

ومن الروايات الأخرى قول النابغة: أنه أجتمع لديه الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء، فقدم الأعشى، وأخرى حسان فغضب حسان وقال له : "والله لأنا أشعر منك! فقال له النابغة: "حيث تقول ماذا " قال حسان حيث أقول :"

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما**

فقال النابغة : انك شاعر ، و لكن اقللت أجفانك و أسيافك فقد غاب عليه أستخدم "جفنات" و""أسياق"

لأنها تفيد القلة وأما الكثير منها يقال له "جفان" و"سيوف" وعاب عليه استعمال "الضحى" وكان الأبلغ أن يقول " الدجى"لأن الضيف أكثر ما يكون طروقاً بالليل.

ومن هذه النماذج النقدية أيضا ، ما نقل عن منازعة امرئ القيس وعلقمة بن عبدة الفحل واحتكامهما إلى أم جندب زوج امرئ القيس في أيهما أشعر : فقال لهما قولا شعراً على روي وأحد وقافية واحدة تصفان فيه الخيل .

ففعلا ثم أنشدها ، فقضت لعلقمة على امرئ القيس وقالت لزوجها : علقمه أشعر منك . قال: وكيف ؟ قالت :

لأنك قلت :

فللزجر ألهوب وللساق درة * وللسوط منه وقع أخرج مهذب**

فجهدت فرسك بسوطك ومريته فأتعبته بساقك .وقال علقمة :

فادركهن ثانياً من عنانه * يمر كمر الرائح المتحلب .**

فأدرك فرسه ثانياً من عنانه ، لم يضربه ولم يتبعه.

ونفهم من هذا الحكم مدى الاعتماد على الإحساس والذوق، ونلاحظ أن ام جندب وقفت في حكمها عند ناحية جزئية في القصيدة ولم تتجاوزها وهذا يتفق مع طبيعة النقد في ذلك العصر. كما يجب ان لا يغرب عن بالنا أن الشعر العربي في العصر الجاهلي قد خطا خطوات كبيرة في مجال التطور، إذ قصدت القصائد وثبتت الأوزان وأحكم البناء الشعري بينما كان النقد مازال يحبو ويسير وئيداً

وكما فاضلوا بين القصائد فإنهم فاضلوا أيضا بين الشعراء ومن ذلك ما روى أن بعض شعراء تميم اجتمعوا في مجلس شرب وكان بينهم الزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم ، وتذاكروا في الشعر والشعراء وأدعى كل وأحد منهم أسبقيته في الشعر وتحاكموا فقال الحكم : أما عمرو فشعره

بـرود يمانيـة تطـوى وتنشـر، وأمـا الزبرقـان فكانـه أتـى جـزوراً قـد نحـرت فأخـذ مـن أطايبهـا وخلطـه بغيـره ، وأمـا المخبـل فشـعره شـهب مـن الله يلقيهـا علـى مـن يشـاء مـن عبـاده ، وأمـا عبـدة كمـزادة أحكـام خرزهـا فلـيس يقطـر منهـا شـيء ، وهـذا الـنمط مـن النقد يعتمد علة الذوق والانطباع الذاتي دون استقراء أو تحليل لشعر الشعراء.٣

ومـن القضـايا التـي أثارهـا النقـد فـي العصـر الجـاهلي ، إبـراز بعـض العيـوب الفنيـة ومن ذلك الإقواء ، فقد روى أن النابغة الذبياني وقع الإقواء في قوله.

امن آل مية رائح او مغتدي * عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذلك خبرنا الغرابُ الأسودُ

قـال الـرواة : فقدم النابغـة المدينـة فعيـب ذلـك عليـه فلـم يأبـه لـه حتـى أسـمعوه إيـاه غنـاء، وأهـل القـرى ألطـف نظـراً مـن البـدو وكـانوا يكتبـون لجـوارهم أهـل الكتـاب . فقـالوا للجاريـة : إذا صـرتِ للقافيـة فرتلـي ... فلمـا قالـت : (الغـراب الأسـود) انتبـه النابغـة للإقـواء فلـم يعـد إليـه، وقـال قـدمت الحجـاز وفـي شـعري ضـعت ورحلـت عنهـا وأنـا أشعر الناس .

ويـدل هـذا علـى أن أهـل المـدن والحضـر كـانوا أول مـن أدرك عيـب القافيـة التـي يقـع فيهـا الإقـواء، ولعـل سـبب ذلـك يرجـع لأنهـم كـانوا يغنـون الشـعر ويكتبونـه ، فلـذلك كانوا سابقين لغيرهم في إدراك ما في الشعر من عيب في حركة

القافية.

ودار النقـد فـي العصـر الجـاهلي حـول الأخطـاء اللغويـة الجزائيـة. ومـن هـذا القبيـل نقـد طرفة بن العبد للمسيب بن علس أو المتلمس على خلاف في القائل :

وقد أتناس الهم عند احتضاره * بناج عليه الصيعرية مكدم**

فسـمعه طرفـة بـن العبـد وهـو صـبي .فقـال : اسـتنوق الجمـل وضـحك منـه وسـخر طرفـة مـن الشـاعر لأن الصـيعرية سـمة الإنـاث لا الفحـول . والشـاعر أخطـاء فـي إطلاق صفة الإناث على الذكور من الإبل .

ظاهرة الرواية :

تعتبـر الروايـة مـن أهـم الأدوات الأساسـية فـي ذيـوع الشـعر، يقـول الأسـتاذ شـوقي ضـيف: "... فروايـة الشـعر فـي العصـر الجـاهلي كانـت هـي الأداة الطبيعيـة لنشـره وذيوعـه، وكانـت هنـاك طبقـة تحترفهـا، احترافـا هـي طبقـة الشـعراء أنفسـهم. فقـد كـان مـن يريـد نظـم الشـعر وصـوغه يلـزم شـاعرا يـروي عنـه شـعره، ومـا يـزال يـروي لـه ولغيره حتى يتفتق لسانه ، ويسل عليه ينبوع الشعر والفن ...".

ومن أشهر هؤلاء الرواة زهير بن أبي سلمى كان راوية لعمه أوس بن حجر.

وكان كعب بن زهير راوية لأبيه. وقبلهم كان امرئ القيس راوية لخاله المهلهل . والاعشى كان راوية لخاله المسيب بن علس. أبو ذويب الهذلي كان راوية لساعدة بن جؤية الهزلي . وطرفة كان راوية لعمه المرقش الاصغر وكان هو راوية لعمه المرقش الاكبر كما كان روى طرفة عن خاله المتلمس من بني يشكر حيث تربى طرفة.

خصائص النقد في العصر الجاهلي :

الذاتية : المقصود بها البعد عن الموضوعية وتأثر الناقد بعوامل خارجة عن النص الأدبي، وللتدليل على هذه الميزة والسمة بنموذج حكومة أم جندب ، فقد أتهم امرؤ القيس زوجته بعدم الموضوعية وأن حكمها أنما أصدرته لصالح علقمة لتعلقها به وحبها له لا لشرعيته وقوة أدبه ولعل في زواجها به بعد هذه الحكومة إن صحت الرواية ما يقوى الشكوك وظن امرئ القيس وإن أحسنا الظن بالمرأة تحت رحمة زوجها في الجاهلية وطبيعي أن تخشى على نفسها ممن يعامل ناقته أو فرسه تلك المعاملة ...

الجزئية : فقد كان النقد لا يتتبع النص الأدبي كله يبحث في جميع مناحيه ويدقق في كل أجزائه وجوانبه بل يقتصر على مقابلة بيتين من القصيدتين لا غير.

عدم التعليل : أي أن الناقد الجاهلي كان يصدر أحكامه بالاستحسان أو الاستهجان دون أن يلزم نفسه بتعليل هذه الأحكام وبيان وجه استحسانه أو استهجانه للنص الأدبي ... ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك حكومة ربيعة بن حذار الأسدي بين الشعراء الأربعة ومنه مفاضلاتهم وتصنفاتهم للشعر والشعراء وتقديماتهم لبعضهم على بعض دون بيان لعلة أو سبب .

الإيجاز : وذلك يتضح من نقد طرفة لشعر المتلمس السابق ، وحينما قال : "استنوق الجمل" فهذه عبارة موجزة تحمل حكما نقديا عيب به على شعر الملتمس الذي وصف الجمل بسمة الناقة .

تحكم العرف : أي أن العرب والذوق العلم هو المعلم الرئيسي في النقد الجاهلي كل ما وافق العرف فهو حسن وكل ما خالف هذا العرف والذوق فهو القبيح كما يقول زهير :ما أرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من لفظنا مكروراً. فهو مقيد بأسلوب يتبعه ويقلده.

النقد الفطري: يعتمد فيه على ذوق الشاعر وسلامة سليقته، حيث لم تكن للنقد أصول معروفة ولا مقاييس مقررة ، بل كانت مجرد لمحات ذوقية ونظرات شخصية .

تـأثير العصـبية القبليـة : لاشـك أن الجـو العـام الـذي كـان يسـود البيئـة العربيـة ويعمهـا سـيؤثر ولابـد فـي النقـد الأدبـي ولعـل ظـاهرة أتسـم بهـا هـذا العصـر هـي العصـبية القبليـة ومـا صـاحبها مـن تفـاخر وتنـافر ، ولهـذا قـال ابـن سـلام الجمحـي : إن القبائـل قـد قالـت بأهواها" ١

ومـن هنـا نسـتطيع القـول أن النقـد فـي العصـر الجـاهلي ، نشـأ بسـيط جزئيـاً ، غلبـت عليه الروح الذاتيه .